الفصل الثامن

تدمير هلكى الصيحة

تدمير ثمود :

جاء أول ذكر فى القرآن الكريم لتدمير ثمود فى سورة الشمس ، اذ يقول :

« كذبت ثمود بطغواها . اذ انبعث اشقاها . فقال لهم رسول الله : ناقة الله وسقياها . فكذبوه ، فعقروها ، فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها » . **(الشمس : ١١ ـ ١٤)**

ومن المعلوم ـ لغة ـ أن دمدم الشيء ، يعنى الزقه بالأرض وطحطحه.

*

ثم ذكر القرآن بعد ذلك مزيدا من الايضاح لتدمير ثمود ، وذلك فى قوله :

« انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة ، فكانوا كهشيم المحتظر » .
(القمر : ٣١)

وفى هذا قال المفسرون : « أى بادوا عن آخرهم .. والمحتظر ـ قال السدى ـ هو المرعى بالصحراء حين ييبس ويحترق وتسفيه الريح .. وقال سعيد بن جبير : (هشيم المحتظر) هو التراب المتناثر من الحائط . وهذا قول غريب ، والأول أقوى والله أعلم » (١) .

*

(١) تفسير القرطبى .

ثم جاء فى سورة الأعراف :

« فاخذتهم الرجفة ، فاصبحوا فى دارهم جاثمين » . (الأعراف : ٧٨)

وقد ذكر المفسرون فى معناها لما « أشرقت الشمس ، جاءتهم صيحة من السماء ، ورجفة شديدةمن أسفل منهم ، ففاضت الأرواح، وزهقت النفوس فى ساعة واحدة » (١) .

وذكروا كذلك فى معنى قوله : (فأخذتهم الرجفة) ــ قال الفراء والزجاج : هى الزلزلة الشديدة .

قال تعالى : (يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا).

قال الليث : يقال رجف الشىء ، يرجف رجفا ورجفانا كرجفان البعير تحت الرحل ، وكما يرجف الشجر اذا أرجفته الريح » (٢) .

*

وفى سورة الشعراء ذكر المفسرون فى معنى قوله تعالى عن ثمود : « فأخذهم العذاب » ، « أن أرضهم زلزلت زلزالا شديدا ، وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب من محالها ، وأتاهم من الأمر ما لم يكونوا يحتسبون » (٣) .

*

وفى سورة فصلت :

« وأما ثمود فهديناهم ، فاستحبوا العمى على الهدى ، فاخذتهم صاعقة العذاب الهون ، بما كانوا يكسبون . ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون » .
(فصلت : ١٧ ــ ١٨)

---

(١) تفسير ابن كثير .

(٢) تفسير الفخر للرازى .

(٣) تفسير ابن كثير .

وفي هذا قال المفسرون : « بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا ونكالا » (١) .

ونقل الفخر الرازى عن بعض من سبقوه وفى وصف ما حل بثمود : « قيل : وصلت الصاعقة اليهم فاحترقوا وصاروا كالرماد » . وكذلك قال القرطبى (٢) .

*

ويتدعم رأى المفسرين الذين قالوا بأن الصاعقة أحرقت ثمود بغتة فصاروا كالرماد ، وذلك فيما نراه فى سورة الذاريات :

« وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين . فعتوا عن امر ربهم فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون . فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين » .
(الذاريات : ٤٣ ـ ٤٥)

وقد اكتفى ابن كثير فى تفسير هذه الآيات بقوله : « انهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام ، فجاءهم فى صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار » .

* *

ويجب أن نفرق بين كلمتى : « صاعقة » و « الصاعقة » .

فالأولى : نكرة حين تسند الى معرفة فانها تعنى عذابا حل بمن اشتدت اليه . ومن ذلك ما جاء فى سورة فصلت : « فان اعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » .

وفيها قال المفسرون : انذركم حلول نقمة الله بكم كما حلت بالأمم الماضيين من المكذبين بالمرسلين (٣) .

* * *

(١) تفسير ابن كثير .

(٢) تفسير الفخر الرازى والقرطبى ـ سورة الاعراف .

(٣) تفسير ابن كثير .

وأما الثانية : وهى الصاعقة فهى معرفة ، وتعرف ـ لغـة ـ بأنها نار تسقط من السماء فى رعد شديد فهى تدمير جـوى ، له أسبابه وتأثيراته الخاصة به .

ونجد مثيلا لذلك فيما يذكره القرآن الكريم عن كلمتى : « الماء » ـ و «ماء » .

فالأولى : تعنى الماء الذى ينزل من السماء فيشربه الكائن الحى من : انسان وحيوان ونبات ، فيحيا به ، وبدونه يموت ، وهو الماء الذى يتكون من اتحاد عنصرى الأوكسجين والايدروجين اتحادا كيميائيابنسبة ثابتة ، وهو الماء الذى دخل فى تركيب الخلية الحية والذى قال فيه الله ـ سبحانه « وجعلنا من الماء كل شىء حى » .

أما الثانية : وهى كلمة ماء ـ فانها تعنى جسما سائلا يختلط به الماء أو يدخل فيه كأحد مركباته ، ولكنها لا تعنى الماء الطبيعى ـ ومثال ذلك ما يقوله القرآن الكريم فى « أصل أنواع » الكائن الحى غير الانسـان والنبات :

« والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجلين ، ومنهم من يمشى على اربع ، يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شىء قدير » . (النور : ٤٥)

« فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق » .
(الطارق : ٥ ـ ٦)

فماء كل دابة هنا هو « أصل نوعها أو مادتها الأولى » وهو شىء مختلف تماما عن الماء الطبيعى وان اشتمل عليه :

ويتأكد هذا المعنى تماما حين نراجع ما يذكره القرآن عن مادة خلق الانسان ؛ اذ سماها ماء فقال :

« الم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه فى قرار مكين . الى قدر معلوم ».
(المرسلات : ٢٠ ـ ٢٢)

ونلاحظ ان ابن كثير قد جانبه الصواب فى تفسير قوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء » .

اذ قال : « يذكر ــ تعالى ــ قدرته التامة وسلطانه العظيم فى خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها ، من ماء واحد » .

فهو وان كان قد فرق بين كلمتى : ماء والماء ، الا انه جعل أصل الدواب ماء واحدا . وهذا مالا نراه فى القرآن الكريم .

*

واذا كنا نجد ان ما حل بثمود قد وصف بالطاغية ، كما قال القرآن الكريم فى سورة الحاقة : « اما ثمود فاهلكوا بالطاغية » ــ فقد نسبت الطاغية ــ فى نفس السورة ــ الى الماء ، وذلك فى اشارته الى طوفان نوح :

« انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية » .

ويقول الفخر الرازى : « قال أبو مسلم : الطاغية اسم لكل ما تجاوز حده ، وسواء كان حيوانا أو غير حيوان ، وألحق الهاء به للمبالغة . فالمسلمون يسمون الملك العاتى بالطاغية والطاغوت ــ وقال فى غير الحيوان (انا لما طغى الماء) أى غلب وتجاوز عن الحد (١) » .

ثم يجمع لنا الفخر الرازى ما يراه قد حل بثمود فيقول : « اما الرجفة فهى الزلزلة فى الأرض ، وهى حركة خارجة عن المعتاد ، فلم يبعد اطلاق اسم الطاغية عليها . واما الصيحة فالغالب ان الزلزلة لا تنفك عن الصيحة العظيمة الهائلة .

فان قيل : فما السبب فى كون الصيحة موجبة للموت ؟

(١) تفسير فخر الرازى : سورة الاعراف .

قلنا : فيه وجوه . أحدهما : ان الصيحة العظيمة انما تحدث عن سبب قوى يوجب تموج الهواء ، وذلك التموج الشديد ربما يتعدى الى صماخ الانسان فيمزق غشاء الدماغ فيورث الموت .

والثانى : انها شيء مهيب فتحدث الهيبة العظيمة عند حدوثها والأعراض النفسانية اذا قويت أوجبت الموت .

الثالث : ان الصيحة العظيمة اذا حدثت من السماء فلا بد وأن يصحبها برق شديد محرق وذلك هو الصاعقة (١) .

* *

هكذا ـ ويمكن تلخيص ما أصاب ثمود وفق روايات المفسرين وتصوراتهم مع الحرص على استخدام تعبيراتهم اللفظية فى النقاط التالية :

١ ـ بعد أن رفضت ثمود دعوة صالح رسول الله وتآمرت عليه القى اليهم نذيره « فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكذوب » .

ان هذا ماتذكره الآية ٦٥ من سورة هود ، هذه السورة التى قال فيها سيدنا رسول : « شيبتنى هود واخواتها » .

٢ ـ وما أن انقضت أيام المتعة الثلاث ، حتى جاءهم الهول على غرة، « فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين » .

« والصاعقة ـ لغة ـ هى نار تسقط من السماء فى رعد شديد » ذى صوت مفزع .

« لقد انتظروا العذاب ـ فى تحد ـ ثلاثة أيام فجاءهم فى صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار » .

---

(١) تفسير الفخر الرازى : سورتى الاعراف ، وهود .

ونتبين من الآيات أن الجو لا بد وقد كان صحوا لا ينذر بالخطر . ولذلك استمروا فى طغيانهم يهزءون بصالح ونذيره . ولو بدت لهم أدنى ظاهرة جوية مفزعة لتراجعت غالبيتهم على الأقل ان لم يتراجعوا جميعا .

٣ -- فكأن الذى شعروا به فى صبيحة اليوم الرابع والجو صحو لاينذر بسوء : « صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم فزهقت النفوس فى ساعة واحدة » .

ذلك أن « الرجفة هى الزلزلة فى الأرض وهى حركة خارجة عن المعتاد» لذلك أطلق اسم الطاغية عليها لأنها جاوزت كل حد فطغت .

٤ — فهم بذلك صاروا « كالمرعى المحترق بالصحراء تسفيه الريح وكالتراب المتناثر من الحائط » .

٥ — والخلاصة : أنهم هلكوا فجأة فلقد أتاهم من الأمر ما لم يكونوا يحتسبون ، اذ احترقوا وصاروا كالرماد ، — بعد أن نزلت بهم نار من السماء روعتهم بوهجها الشديد « وهم ينظرون » وبأصواتها الرهيبة التى فعلت فعلها فيهم .

* *

من احاديث الرسول فى ثمود :

بعد ان استعرضنا أغلب تفاسير آيات القرآن الكريم التى ذكرت ثمود وتدميرها ، فانا نذهب الى أحاديث الرسول الأمين ، لنستبين منها المزيد من أمر ثمود .

والحق أنها تفتح أعيننا على شىء عجيب ..

فقد ذكر ابن كثير فى تفسيره : قال الامام أحمد أيضا حدثنا ، يزيد بن هارون المسعودى عن اسماعيل بن واسط عن محمد بن أبى كبشة الانمارى عن أبيه قال : لما كان فى غزوة تبوك تسارع الناس الى أهل الحجر يدخلون

عليهم ، فبلغ ذلك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فنادى فى النــاس الصلاة جامعة .

قال فأتيت رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو يقول « ماتدخلون على قوم غضب الله عليهم » (١) .

ويقول مسلم فى صحيحه : حدثنى حرملة بن يحيى ، أخبرنا ابن وهب أخبرنى يونس عن ابن شهاب وهو يذكر الحجر مساكن ثمود ، قال سالم بن عبد الله ان عبد الله بن عمر قال : مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ على الحجر فقال لنا رسول لله ــ صلى الله عليه وسلم .

لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم . ثم زجر (ناقته) فأسرع حتى خلفها (٢) .

وذكر ابن كثير أيضا فى ديار ثمود : « مر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على ديارهم ومساكنهم ، وهو ذاهب الى تبوك سنة تسع (هجرية) قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر قال : لما نزل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود ، فاستقى الناس من الآبار التى كانت تشرب منها ثمود فعجنوا منها ونصبوا لها القدور ، فأمرهم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فاهراقوا القدور وعلفوا العجين الابل ، ثم ارتحل بهم حتى نزل على البئر التى كانت تشرب منها الناقة ، ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا وقال : انى أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم (٣).

« وقال الامام أحمد : حدثنا عبد الرازق حدثنا معمر عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبى الزبير عن جابر قال : لما مر رسول الله ــ صلى الله

---

(١) تفسير ابن كثير : سورة الاعراف .

(٢) صحيح مسلم : الجزء ١٨ ــ ص ١١٠٠ .

(٣) تفسير ابن كثير : سورة الاعراف .

عليه وسلم ــ بالصخر قال : **لا تسألوا الآيات فقد** سألها قوم صالح فكانت ــ يعنى الناقة ــ ترد **من هذا الفج وتصدر من** هذا الفج ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها .

وكانت تشرب ماءهم **يوما ويشربون لبنها** يوما ، فعقروها فأخذتهم صيحة .. **الا** رجلا **واحدا كان فى حرم الله** . فقالوا من هو يا رسول الله ، قال : أبو رغال ، فلما خرج **من الحرم أصابه** مما أصاب قومه » .

« وقال عبد الرازق **عن معمر أخبرنى** اسماعيل بن أمية ان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ مر بقبر **أبى رغال فقال** : أتدرون من هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم .

قال : هذا قبر أبى رغال **رجل من ثمود ، كان فى** حرم الله **فمنعه** حرم الله عذاب الله ، فلما خرج أصابه **ما أصاب** قومه ، فدفن هاهنا » (١) .

ويتضح لنا من **أحاديث رسول الله فى ثمود** أمورا هامة ، منها :

١ ــ ان الاقامة بديار **ثمود شىء خطير مما** دعاه عليه السلام ــ ان ينادى فى الناس : « **الصلاة جامعة** » ، **حتى اذا** اجتمعوا وقف فيهم محذرا ومنذرا خطورة **ما أقدموا عليه** .

٢ ــ وأنه يحظر استخدام **مياهها ، فقد** أمر عليه السلام باهراق القدور التى ملئت منها ، **ونهى عن استخدام** العجين الذى عجن بمائها .

٣ ــ وانه من الخير للانسان **ألا يمر بها فان** كان لا محالة فاعلا ، فمن الواجب أن **يكون المرور بها** سريعا كما فعل ــ عليه السلام ــ حين « زجر (ناقته) فأسرع حتى خلفها » .

---

(١) تفسير ابن كثير : سورة الاعراف .

٤ — وتبين قصة أبى رغال أن العذاب الذى نزل بثمود أطبق على مساكنهم وأودبتهم لا ينجو منه الا من أسرع بنفسه بعيدا عن تلكم الديار ، بصرف النظر عن كونه مؤمنا أو غير مؤمن .

فلقد كان أبو رغال مؤمنا وكان قد التجأ الى مكان بعيد عن تلك الاماكن المنكوبة فكان بذلك « فى حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله . فلما خرج — من ملجئه ونزل بأرضهم — أصابه ما أصاب قومه » فهلك ومات أى أن ما حل بثمود كان كارثة أظلت مساكنهم فأصابت كل من أدركته ولو كان من المؤمنين . واستمرت هذه الكارثة تصيب كل من يدركها حتى بعدوقوعها كما فعلت بالمؤمن أبى رغال .

بل ان هذه الكارثة استمرت آثارها تصيب من يتعرض لبقاياها ، ولو بعد العديد من القرون .

* *

وبعد — ان أحاديث الرسول تبين لنا بوضوح أن ديار ثمود تعتبر منطقة ملوثة .

كما أن هذه الأحاديث بجانب ما يستخلص من أقوال المفسرين تقودنا الى استنباط ان ما حل بثمود : كان تدميرا ذريا .

ويمكننا التحقق من ذلك بعد أن نلمح شيئا يسيرا من كيفية تدمير هلكى الصيحة الآخرين ثم نلم بشىء مما يقوله العلم فى هذا المجال .

*

هذا — ويجب أن نذكر الآن ما يقوله القرآن الكريم من نجاة صالح ومن معه من المؤمنين قبل وقوع الكارثة التى حلت بثمود .

« فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز . واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين » . (هود : ٦٦ ـ ٦٧)

لقد نجا صالح ومن معه من المؤمنين بالله عنهم وعن مساكنهم .

« فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ، ولكن لا تحبون الناصحين » . (الأعراف : ٧٩)

* * *

تدمير قوم لوط :

جاء أول ذكر فى القرآن الكريم لتدمير قوم لوط فى سورة القمر ، اذ يقول :

« كذبت قوم لوط بالنذر . انا ارسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر . نعمة من عندنا كذلك نجزى من شـــكر . ولقد انذرهم بطشـتنا فتماروا بالنذر . ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عـــذابى ونذر . ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر » . (القمر : ٣٣ ـ ٣٨)

ومن المعلوم ـ لغة ـ أن الحاصب يعنى الريح الشديد تثير الحصباء ، وهى الحصى الصغار ، وتستعمل فى كل عذاب (١) .

❁

ثم ذكر القرآن الكريم بعد ذلك خاصبة ارتبطت باهلاك قـــوم لوط الا وهى استخدام امطار خاصة لتدميرهم .

« ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون . وما كان جـــواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم ، انهم اناس يتطهـرون . فانجيناه واهله ، الا امراته كانت من الغابرين . وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين » . (الأعراف : ٨٠ ـ ٨٤)

واستمر القرآن الكريم يذكر فى مواضع كثيرة استخدام أمطار السوء فى تدمير قوم لوط :

« ولقد اتوا على القرية التى امطرت مطر السوء ، أفلم يكونوا يرونها ، بل كانوا لا يرجون نشورا » . (الفرقان : ٤٠)

« وامطرنا عليهم مطرا ، فساء مطر المنذرين » .
(الشعراء : ١٧٣ ، النمل : ٥٨)

---

(١) تفسير القرطبى : سورة العنكبوت .

ونلاحظ ان استخدام كلمة « مطر » فى صورتها النكرة ، أو اضافتها الى السوء لتعرف به ، انما يرجع ــ حسبما نرى ــ لأن المتعارف عليه هو أن « المطر » يعنى الماء الذى ينزل من السماء فيحيى موات الأرض وكائناتها الحية . أما كلمة « مطر » فانها تعنى شيئا آخر ، وان كان يشارك المطر فى صورته العامة وهو أنه ينزل من السماء . ويذكرنا هذا بما سبق بيانه فى استخدام القرآن الكريم لكلمتى : « ماء » و « الماء » ــ وكلمتى: « صاعقة » ، و « الصاعقة » (١) .

*

ويذكر لنا القرآن مزيدا من كيفية تدمير قوم لوط ، فيقص فى سورة هود كيف جاءت الملائكة لزيارة لوط ، رسلا من الله فى صورة بشرية لتلقنه خطة النجاة من الهلاك الذى بات وشيكا ينتظر قومه :

« ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم ، وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب . وجاءه قومه يهرعون اليه ، ومن قبل كانوا يعملون السيئات ، قال يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم ، فاتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى ، اليس منكم رجل رشيد . قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد . قال لو ان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد » .

وعندئذ قالت الملائكة : **« يا لوط : انا رسل ربك ، لن يصلوا اليك ، فاسر باهلك بقطع من الليل ، ولا يلتفت منكم احد الا امراتك ، انه مصيبها ما اصابهم ، ان موعدهم الصبح ، اليس الصبح بقريب .**

فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ، وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك ، وما هى من الظالمين ببعيد » .

(هود : ٧٧ ــ ٨٣)

وفى هذا قال المفسرون :

---

(١) راجع صفحة ١٣٣ ، ١٣٤ .

« أخبرته الملائكة أنهم رسل الله اليه وأنهم لا وصول لهم اليه (قالوا يا لوط انا رسل ربك ، لن يصلوا اليك) وأمروه أن يسرى بأهله آخر الليل ، وان يتبع أدبارهم أى يكون ساقة لأهله (ولا يلتفت منكم أحد) أى اذا سمعت ما نزل بهم ، ولا تهولنكم تلك الأصوات المزعجة ولكن استمروا ذاهبين (الا امرأتك) قال الأكثرون هو استثناء من المثبت وهو قوله (فأسر بأهلك) تقديره (الا امرأتك) .

(فلما جاء أمرنا) وكان ذلك عند طلوع الشمس (جعلنا عاليها) وهى سدوم (سافلها) كقوله (فغشاها ما غشى) (١) أى أمطرنا عليها حجارة من سجيل .

قال بعضهم من سنك وهو الحجر .. وقال بعضهم مشوية .

وقوله (منضود) قال بعضهم منضود فى السماء أى معدة لذلك ، وقال آخرون (منضود) أى يتبع بعضها بعضا فى نزولها عليهم ، وقوله (مسومة) أى معلمة مختومة عليها أسماء أصحابها .. وقال قتادة وعكرمة (مسومة) مطوقة بها نقط من حمرة . وذكروا أنها نزلت على أهل البلد وعلى المتفرقين فى القرى مما حولها .

وقال محمد بن كعب القرظى كانت قرى قوم لوط خمس قريات : سدوم وهى العظمى ، وصعبة ، وصعود ، وغمرة ، ودوحاء ، احتملها جبريل بجناحه .. ثم كفأها على وجهها ، ثم أتبعها الله بالحجارة . فأهلكها الله وما حولها من المؤتفكات .. ومن لم يمت حتى سقط للارض ، أمطر الله عليه وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم شاذا فى الأرض يتبعهم فى القرى ، فكان الرجل يتحدث فيأتيه الحجر فيقتله ، فذلك قوله عز وجل (وأمطرنا عليهم) أى فى القرى حجارة من سجيل هكذا قال السدى » (٢).

---

(١) « والمؤتفكة اهوى . فغشاها ما غشى » (النجم : ٥٣ ـ ٥٤) .

(٢) تفسير ابن كثير : سورة هود .

وقالوا أيضا فى معنى قوله تعالى « حجارة من سجيل منضود » .

« السجيل الشديد الكثير .. والسجيل عند العرب كل شديد صلب .

منضود : قال ابن عباس متتابع ، وقال قتادة نضد بعضه على بعض حتى صار جسدا واحدا، وقال عكرمة مصفوف ، وقال بعضهم مرصوص، والمعنى متقارب (١) .

وقالوا أيضا : (سجيل) موضع الحجارة ، وهى جبال مخصوصة . . (مسومة) صفة للاحجار .

قال ابن جريج كان عليها سيما لا تشارك حجارة الأرض وتدل على انه ــ تعالى ــ انما خلقها للعذاب (٢) .

* *

ونقف هنا وقفة لكى نستوعب معنى قوله « مسومة عند ربك » فنجد معاجم اللغة تقول « السومة » هى العلامة تجعل على الشاة ، وفى الحرب . والخيل (المسومة) أى المرعية وأيضا المعلمة .

وتذكر سورة الذاريات « لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين » وقد ذكر ابن كثير فى تفسيرها : « (حجارة من طين مسومة) أى معلمة (عند ربك للمسرفين) أى مكتتبة عنده بأسمائهم » .

من ذلك نفهم أن (مسومة) يعنى مرتبطة بمن تصيبهم ، أو بتعبير آخر: مخصص لكل مصاب جزء منها .

ولنعلم أن المفسرين اتفقوا على أن تلك الحجارة كانت دقيقة الحجم ، فقد ذكر البيضاوى فى تفسيره أنها فى حجم حبة القمح ، وكذلك ذكر ابن كثير أنها كانت صغيرة الحجم قوية الدفع ، لأنها كانت تسقط على رأس المجرم فتخرج من دبره .

---

(١) تفسير القرطبى : سورة هود .

(٢) تفسير الفخر الرازى : سورة هود .

ونفهم من قوله تعالى عن الحجارة التى أصابت قوم لوط أنها «مسومة عند ربك» لا يتحتم أن يعنى أنها شيء يأتى من خارج أقطار الكرة الأرضية وغلافها الجوى ، ذلك أنا نجد فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم قوله : « من عند الله » يعنى أشياء وأحداث أرضية لكنها تمت بارادة الله وأمره وعلمه . ويتضح ذلك من آيات كثيرة نذكر منها :

« ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون » .
(البقرة : ١٠١)

فرسول الله انسان بشر من الأرض ، ولد وعاش على الأرض كما يعيش البشر ، لكنه قام « داعيا الى الله باذنه » وقد أوحى اليه كما أوحى الى نوح والنبيين من بعده ، وأن القرآن الذى أنزل اليه « انما أنزل بعلم الله » — من أجل ذلك قيل أنه « رسول من عند الله » .

وبالمثل نفهم قوله تعالى :

« ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين » .
(البقرة : ٨٩)

فالكتاب الكريم من الله ، نزل بعلمه ، وكتب فى الأرض على ورق أو قماش بأيدى بشرية ، لكنه بقى كتابا « من عند الله » .

وبالمثل أيضا قوله تعالى :

« قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ، ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده او بأيدينا ، فتربصوا انا معكم متربصون » .
(التوبة : ٥٢)

فعذاب الله المنتظر لأولئك المنافقين لا يأتى من خارج أقطار الأرض ، لكنه يمكن أن يأتى فى صورة كوارث طبيعية أو هزيمة عسكرية يذوقون فيها الآلام والقتل والتخريب ، لكنه تعبير القرآن الكريم « عذاب من عنده » لأنه يتم بأمر الله وعلمه .

واذا كان هذا ما يمكن أن يقال فى معنى قوله « من عند الله » فمن باب أولى أن يقال نفس الشيء فى معنى قوله « عند ربك » .

« وعلى ذلك يمكن القول بأن « مسومة عند ربك » تعنى مخصصة ، أو مقدرة من الله تعالى ــ لتصيب الظالم وفق قدر موقوت ، كذلك الذى يقضى على كل انسان حين ينقضى أجله ، كما فى قوله تعالى :

« وطائفة قد اهمتهم انفسهم .. يقـــولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتـل الى مضـاجعهم » . (آل عمران : ١٥٤)

* * *

هذا ــ ومن المعلوم أن قوم لوط يعتبرون من هلكى الصيحة ، وفى هذا تقول سورة الحجر :

« فاخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها ، وامطرنا عليهم حجارة من سجيل . ان فى ذلك لآيات للمتوسمين . وانها لبسبيل مقيم . ان فى ذلك لآية للمؤمنين » . (الحجر : ٧٣ ــ ٧٧)

ويقول المفسرون : يقول تعالى (فأخذتهم الصيحة) وهى ماجاءهم من الصوت القاصف عند شروق الشمس وطلوعها ، وذلك مع رفع بلادهم الى عنان السماء ثم قلبها ، وجعـل عاليها سافلها ، وارسال حجارة السجيل عليهم (١) .

وذكر الفخر الرازى ، ردا على الذين قالوا بأن الصيحة كانت صيحة جبريل عليه السلام « قال أهل المعانى : ليس فى الآية دلالة على أن تلك الصيحة صيحة جبريل عليه السلام ، فان ثبت ذلك بدليل قوى قيل به ، والا فليس فى الآية دلالة الا على أنه جاءتهم صيحة عظيمة مهلكة .

واعلم أن الآية تدل على أنه تعالى عذبهم بثلاثة أنواع من العذاب :

---

(١) تفسير ابن كثير : سورة الحجر .

أحدهما الصيحة الهائلة المنكرة ، وثانيهما أن جعل عاليها سافلها ، وثالثها أنه أمطر عليهم حجارة من سجيل (١) .

* * *

ولقد ألمحت سورة الحجر الى أهمية بقايا ديار قوم لوط فقالت : « ان فى ذلك لآيات للمتوسمين » ، وهم الذين يتفرسون ويقدرون على استنباط حقائق الأمور .

بعد ذلك نزلت سورة العنكبوت لتحدثنا صراحة فتقول :

« انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون. ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون» . (العنكبوت : ٣٤ ــ ٣٥)

ولا يهمنا ما قاله المفسرون فى تفسير ذلك الرجز ، فقد ذهبوا فيه مذاهب شتى ، ولهذا قال الفخر الرازى : « اختلفوا فى ذلك فقال بعضهم : حجارة ، وقيل نار ، وقيل خسف » .

لكن ما يهمنا هو ما تقرره سورة العنكبوت من وجود آية أو علامة واضحة فى بقايا ديارهم ، وهو الشىء الذى أكدته سورة الذاريات التى نزلت بعد ذلك اذ تقول :

« وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم » .
(الذاريات : ٣٧)

لقد حام المفسرون حول ما يمكن أن يصل بنا الى حقيقة ما أصاب قوم لوط حين قالوا فى تفسير هذه الآية : « هو ماء أسود منتن انشقت أرضهم وخرج منها ، وقيل حجارة مرمية فى ديارهم وهى بين الشام والحجاز (٢) .

---

(١) تفسير الفخر الرازى : سورة الحجر .
(٢) تفسير الفخر الرازى : سورة الذاريات .

ونود الآن قبل تلخيص قصة تدمير قوم لوط أن نعرف حقيقة موقف امرأته .

لقد ذكر القرآن الكريم صراحة وفى أكثر من موضع أنها هلكت مع الهالكين ، فمن ثم لم تعد نهايتها موضع تساؤل .

لكن السؤال الذى نطرحه هو : هل خرجت امرأة لوط مع زوجها وأهله المؤمنين ، ثم هلكت فى الطريق حين نظرت خلفها عند وقوع العذاب فخالفت بذلك تعليمات النجاة ــ أم أن هلاكها حدث أساسا لأنها بقيت مع قومه الغابرين ولم تكن فى زمرة لوط من المخرجين .

وللاجابة على هذا السؤال نراجع أقوال المفسرين ، ثم ننظر فى آيات القرآن الكريم لنعلم منها حقيقة ما كان .

ولما كانت كتب التفسير لا تفسر سورة القرآن الكريم وفق ترتيب نزولها بل حسب ترتيبها فى المصحف ، فلسوف نراعى ذلك فى عرض أقوالهم . ونبدأ بما فى سورة الاعراف التى تقول : « فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين » .

وفى هذا ذكر ابن كثير « الأظهر أنها لم تخرج من البلد ولا اعلمها لوط بل بقيت معهم . ولهذا قال ههنا (الا امرأته كانت من الغابرين) أى الباقين ، وقيل من الهالكين وهو تفسير باللازم » .

فكلمة « الأظهر » هنا تفيد الترجيح الغالب بأن امرأة لوط لم تخرج معه ، ولكن هذا الترجيح يعنى أن هناك قلة من الآراء تقول بأنها خرجت مع لوط وأن هلاكها تم فى الطريق .

ولا شك أن آراء تلك القلة كانت متأثرة بما تقوله المصادر الاسرائيلية فى هذا الموضوع ، والتى تنص صراحة على أن امرأة لوط خرجت معه ، كما تنص على أن هلاكها حدث حين التفتت خلفها .

بعد ذلك تقول سورة هود : « فأسر بأهلك بقطع من الليل ، ولا يلتفت منكم أحـدا الا امرأتك انه مصيبها ما أصابهم ، أن موعـدهم الصبح ، أليس الصبح بقريب » .

وقد ذكر ابن كثير فى تفسيرها : (الا امرأتك) قال الأكثرون هو استثناء من المثبت ، وهو قوله (فأسر بأهلك) تقديره « الا امرأتك »

* * *

لكن آراء تلك القلة اختفت من تفسير ابن كثير لبقية آيات القرآن الكريم التى تتحدث عن هلاك قوم لوط .

فنجد فى سورة الحجر :

« قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين . الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين . الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين » .

وقد جاء فى تفسيرها : « اخبروه (أى ابراهيم) أنهم سينجون آل لوط من بينهم الا امرأته فانها من الهالكين . ولهذا قالوا (الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) أى الباقين المهلكين » .

ونجد فى سورة الشعراء :

« فنجيناه واهله اجمعين . الا عجوزا فى الغابرين . ثم دمرنا الآخرين »

وقد جاء فى تفسيرها : « (فنجيناه وأهله أجمعين) أى كلهم (الا عجوزا فى الغابرين) وهى امرأته ، وكانت عجوز سوء بقيت فهلكت مع من بقى من قومها وذلك كما اخبر الله تعالى عنهم فى سـورتى الاعراف وهود ، وكذا فى سورة الحجر حين أمره الله أن يسرى بأهله الا امرأته ، وانهم لا يلتفتوا اذا سمعوا الصيحة حين تنزل على قومه ، فصبروا لأمر الله ، واستمروا فى السير ، وأنزل الله على أولئك العذاب الذى عم جميعهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود .

ان هذا يعطى اجابة واضحة للسؤال الذى طرحناه ، فنعلم أن امرأة لوط بقيت مع الباقين فهلكت .

بعد ذلك نقرأ فى سورة الصافات :

« وان لوطا لمن المرسلين . اذ نجيناه واهله اجمعين . الا عجوزا فى الغابرين . ثم دمرنا الآخرين » . (الصافات : ١٣٣ ـ ١٣٦)

ويقيننا أن هذه الآيات بينات لا تحتاج الى تفسير ، فهى تقرر كسابقتها ـ من سورة الشعراء ـ أن العملية تمت على مرحلتين :

الأولى : النجاة ـ وكانت للوط وأهله أجمعين ، الا امرأته التى استثنيت منها كما ذكرت ذلك صراحة آيات سورتى الشعراء والصافات .

الثانية : التدمير ـ وهى مرحلة تالية زمنيا لمرحلة النجاة كما يدل عليها الحرف « ثم » . لقد حدثت النجاة وفق قوانين الطبيعة التى سنها الله الخلاق العليم فى كونه ، والتى أرادها أن تعمل دائما رغم تطلعات البشر فى كل زمان ومكان الى الخوارق ومخالفات السنن الكونية .

لذلك كان الخروج بعيدا عن منطقة الخطر التى ينتظرها التدمير هو السبيل الوحيد للنجاة .

ولقد كان ذلك هو الواجب الذى قامت به الملائكة حين أخرجت لوطا ومن معه من المؤمنين ـ والمؤمنين فقط ـ فى الهزيع الأخير من الليل ، حتى اذا جاء الصبح وقت التدمير كانوا بعيدا عن مكان الخطر ، وبذلك تمت نجاتهم . وتأكد هذا المفهوم حين نقرأ آية سورة الذاريات :

« فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين » .

وما كانت امرأة لوط من جماعة المؤمنين حتى تكون فى زمرة المخرجين الناجين .

مما سبق يتبين لنا أن امرأة لوط لم تخرج فى رحلة النجاة ولكنها بقيت مع الهالكين .

* *

هذا ويمكن تلخيص قصة قوم لوط وما أصابهم وفق روايات المفسرين وتصوراتهم فى الآتى :

١ - رفض قوم لوط دعوته الى التطهر وتقويم السلوك الاجتماعى ، وطلبوا منه الكف عن مواعظه فيهم والا أخرجوه منفيا من قراهم فقد قالوا له :

« لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين » .

وهناك بلغت رسالة لوط غايتها فلم يجد له ملجأ سوى الله بعد أن يعلن رفضه لاعمالهم ،

فقال : « انى لعملكم من القالين . رب نجنى واهلى مما يعملون » (١) .

٢ — ولقد استجاب الله دعاءه فجاءته الملائكة فى صور بشرية لتهديه سبيل النجاة باتباع الخطوات التالية :

(أ) أن يسرى بالمؤمنين فى السحر ، فيغادر القرى الآثمة فى الجزء الأخير من الليل ، أى قبل طلوع الشمس بوقت كاف .

(ب) وان تقود الملائكة الرحل الى مكان النجاة ، ويكون لوط فى أعقابهم .

(جـ) وحين يسمع لوط ومن معه ما سوف ينزل بتلك القرى الاثمة ، «فلا تهولنهم تلك الأصوات المزعجة ، ولكن يستمروا ذاهبين » . بعيدا عنها .

٣ — لما جاء أمر الله بتدميرهم فانه — تعالى — « عذبهم بثلاثة أنواع من العذاب :

أحدها الصيحة الهائلة المنكرة ، وثانيها أنه جعل عاليها سافلها ، وثالثها أنه أمطر عليهم حجارة من سجيل » .

---

(١) سورة الشعراء : ١٦٧ — ١٦٩ .

ولما « كانت قرى لوط خمس قريات : سدوم وهى العظمى .. » فمن المرجح أنها كانت على مرتفع من الأرض كما هو الغالب فى بناء المدن والقرى وخاصة فى تلك الازمنة ، كما أنها باعتبارها العظمى ، تكون أسواق الفساد والمتعة فيها أكبر ، لذلك كان ما نزل بها مروعا ، فقد سويت بالأرض ، فصارت تلك القرية « سافلها » بعد أن كانت « عاليها » ويحدث ذلك بفعل زلزال موقوت أو انفجار مروع أو نحو ذلك .

٤ — وقد اختلف المفسرون فى معنى « حجارة من سجيل منضود ، مسومة » ولعل من أهم ما قالوه :

(سجيل) موضع الحجارة وهى جبال مخصوصة .. وأنها حجارة مشوية ، والسجيل عند العرب كل شديد صلب . (ومنضود) متتابع . (ومسومة) معلمة أو بها نضح من حمرة ، وكان عليها سيما لا تشارك حجارة الأرض وتدل على أنه تعالى انما خلقها للعذاب » .

٥ — ثم يبقى ما تكرر ذكره فى القرآن الكريم من أهمية البحث فى بقايا ديار قوم لوط ، فذكره فى آيات بينات لا تحتاج الى تفسير .

فقد جاء ذكرها — وفق ترتيب نزولها — تلميحا فى سورة الحجر ، فقال : « ان فى ذلك لآيات للمتوسمين » .

ثم ذكرها تصريحا فى سورة العنكبوت ، فقال :

« ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون » .

ثم ذكرها تأكيدا فى سورة الذاريات فقال :

« وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم » .

ولقد كان المفسرون موفقين فى قولهم بأن المقصود بهذه الآية التى تركت فى بقايا قراهم هى « حجارة مرمية فى ديارهم » .

* * *

تدمير قوم شعيب :

جاء اول ذكر في القرآن الكريم لتدمير قوم شعيب ، في سورة الاعراف اذ يقول :

« فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين . فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين». (الاعراف : ٨٥ ـ ٩٣)

ان الآيات بينات لا تحتاج الى تفسير فقد حل بهم شيء مما حل بثمود .

بعد ذلك ذكر القرآن الكريم مزيدا من عناد قوم شعيب ، كما ذكر مزيدا من كيفية تدميرهم ، وذلك في قوله :

« قالوا انما انت من المسحرين ، وما انت الا بشر مثلنا ، وان نظنك لمن الكاذبين . فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين . قال ربي اعلم بما تعملون . فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة ، انه كان عذاب يوم عظيم » . (الشعراء : ١٨٥ ـ ١٨٩)

وفي هذا قال المفسرون : « أصابهم عذاب يوم الظلة ، وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم ، ثم جاءتهم صيحة من السماء ، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم ، فزهقت الأرواح وغاصت النفوس وخمدت الاجسام » (١) .

وقال المفسرون : لقد جاءهم العذاب « من جنس ما سألوه من اسقاط الكسف عليهم ، فان الله سبحانه وتعالى جعل عقوبتهم أن أصابهم حر عظيم مدة سبعة أيام لا يكنهم منه شيء ثم أقبلت اليهم سحابة اظلتهم فجعلوا ينطلقون اليها يستظلون بظلها من الحر . فلما اجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله عليهم منها شررا من نار ولهبا ووهجا عظيما ، ورجفت بهم الأرض وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم .

---

(١) تفسير ابن كثير : سورة الاعراف .

وقال محمد بن كعب القرظى : ان أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب :

اخذتهم الرجفة فى دارهم حتى خرجوا منها فلما خرجوا منها اصابهم فزع شديد .. فأرسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال ما رأيت اليوم ظلا أطيب ولا أبرد من هذا . فدخلوا جميعا تحت الظلة ، فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا جميعا ..

وقال محمد بن جرير : حدثنى الحارث .. حدثنى يزيد الباهلى ، سألت ابن عباس عن هذه الآية (فأخذهم عذاب يوم الظلة) الآية ، قال بعث الله عليهم رعدة وحرا شديدا فاخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هربا الى البرية ، فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحتها ارسل الله عليهم نارا . قال ابن عباس فذلك عذاب يوم الظلة » (١) .

ولقد نجى الله شعيبا ومن معه من المؤمنين قبل أن ينزل العذاب بقومه، فقال سبحانه :

« ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ، واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين » . **(هود : ٩٤)**

ثم قال ــ تعالى ــ فى شأن أصحاب الأيكة قوم شعيب عقب ذكر ما حل بقوم لوط :

« ان فى ذلك لآية للمؤمنين . وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين » . **(الحجر : ٧٧ ــ ٧٩)**

وفى هذا قال المفسرون : (انتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة ، وقد كانوا قريبا من قوم لوط بعدهم فى الزمان ومسامتين لهم فى المكان ، ولهذا قال تعالى (وانهما لبامام مبين) أى طريق مبين . قال

---

(١) تفسير ابن كثير : سورة الشعراء .

ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيره : طريق ظاهر . ولهذا أنذر شعيب قومه ، قال فى نذراته اياهم (وما قوم لوط منكم ببعيد) (١) .

* * *

وتتلخص كيفية تدمير قوم شعيب ، حسب أقوال المفسرين فى الآتى :

١ — تعرض الهلكى من قوم شعيب لثلاثة أنواع من العذاب فقد « أقبلت اليهم سحابة أظلتهم » ، وأصابتهم صيحة عظيمة ، ورجفة شديدة .

٢ — واتفق المفسرون على أن الكارثة التى حلت بهم كانت تكمن فى تلك الظلة ، فقد كان « فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم » .

٣ — ولقد قضى عليهم جميعا ، اذ « زهقت الارواح وفاضت النفوس وخمدت الأجسام « مرة واحدة »

* * *

(١) تفسير ابن كثير : سورة الحجر .

مجمل القول فى تدمير الغابرين من أقوام صالح ولوط وشعيب :

والآن نوجز خلاصة ما أوردناه فى تدمير أولئك الغابرين فى الآتى :

١ — اشترك الهلكى من الأقوام الثلاثة فى احدى صور العذاب الذى نزل بهم ، وهى الصيحة ولذلك أطلقنا عليهم هلكى الصيحة .

واشتركت ثمود قوم صالح ، وأصحاب مدين قوم شعيب فى تعرضهم للرجفة .

٢ — لكن كلا من أولئك الأقوام الثلاثة اتخذت الكارثة التى نزلت بهم صورة متميزة تفردوا بها .

فبالنسبة لثمود « أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون » .

وأما قوم لوط فقد امطر الله «عليهم مطرا ، فساء مطر المنذرين»

وأما قوم شعيب فقد «أخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم » .

وبذلك نميز هلكى الصيحة بقولنا :

ثمود الصاعقة ، وقوم لوط هلكى مطر السوء ، وقوم شعيب أصحاب الظلة .

٣ — ويتلخص ما أصاب كلا منهم فيما يلى :

(أ) ثمود الصاعقة :

١ — أصابهم ثلاثة أنواع من العذاب ، فقد أخذتهم الصاعقة ، وأرسلت عليهم صيحة من السماء ، وأخذتهم رجفة شديدة .

٢ — فنزلت بهم نار من السماء روعتهم بوهجها الشديد وبأصواتها المفزعة ، فاحترقوا وصاروا كالرماد أو كالتراب المتناثر من الحائط .

٣ — واعتبرت ديارهم منطقة ملوثة بها آثار من اللعنة التى حلت بهم ، ويمكنهـا أن تصيب المؤمن والكافر على السواء ، باعتبارهما من الكائنات الحية . لذلك حظر السكن بهـا أو استخدام مياههـا ، وان كان لابد للانسان من المرور عليها فليكن سريعا خشية أن يصيبه ما أصابهم .

(ب) قوم لوط هلكى مطر السوء :

١ — أصابهم ثلاثة أنواع من العـذاب : أحدها الصيحة المنكرة ، وثانيهـا جعل عاليها سـافلها ، وثالثها مطر السوء ، وهو حجارة من سجيل منضود خصصت لهم .

ولقد كانت تلك الحجارة شديدة الوقع ذات أثر فتاك .

٢ — ولكى ينجو لوط من معه من المؤمنين فقد كان عليهم أن يهربوا بعيدا عن مكان الكارثة التى ينتظرو وقوعها بعـد شروق الشمس . لذلك رحلـوا عن المكان فى السحر ، فقطعوا مسيرة نحو ثلاث ساعات أو ما يعادل مسافة نحو ٢٠ كيلو مترا .

٣ — ولا تزال بقايا قرى قوم لوط تحدثنا بما فيها من علامات بحقيقة ما نزل بهم من عذاب اليم .

(جـ) قوم شعيب اصحاب الظلة :

١ — أصابهم ثلاثة أنواع من العذاب : فقد ارتفعت فوقهم الظلة ، وأصابتهم صيحة عظيمة ، ورجفة شديدة .

٢ — فهلكوا جميعا حين غشيتهم تلك الظلة التى كان فيها « شرر من نار ولهب ووهج عظيم » .

* * *

وبعد — لقد سبق أن قلنا فى نهاية الحديث عن تدمير ثمود بأن : أحاديث الرسول وما يستخلص من أقوال المفسرين تقودنا الى استنباط أن : ما حل بثمود كان تدميرا ذريا . ولنقرأ الآن الفقرة التالية التى وردت فى تقرير علمى ، ثم لننظر ماذا نرى :

« دلت التفاعلات والبلورات الرملية التى وجدت فى هيروشيما (باليابان) على أن تربتها تحولت بعد القاء القنبلة الذرية عليها الى بقايا اشبه بما كان فى سدوم وعمورة فى فلسطين حيث عاش قوم لوط . وقد فكر كثير من العلماء فى تلك الظاهرة القديمة التى محت تلك البلاد ، وان القوة التى فتكت بها ربما كانت قوة ذرية (١)

ولعلنا نستطيع الآن أن نقرر بمزيد من الثقة ان تدمير أولئك الأقدمين من أقوام : صالح ولوط وشعيب ، كان تدميرا ذريا .

وما أحسب الا أننا سوف نزداد اقتناعا بصحة هذا الاستنتاج الذى توصلنا اليه ، بعد أن نلم بشىء من معطيات العلم الحديث فى مجال التدمير الذرى .

* * *

(١) قصة الذرة — ص ١٤١ .